هذا التدقيق لانه تعنت غير ضروري ، اذ المهم هو الفرق النهائي بيننا وبينه ، وبين عطائنا وعطائه ، هو يقدم دمه ونحن نسفح الحبر . و « ينهمر » صيغة عجيبة في دلالتها الصوتية ؛ لشد ما يحسن هذا الشاعر ان يختار الكلمات الدالة . ولماذا كل هذا الحبر ؟ لقد بين الشاعر — من قبل — ان ذلك من أجله ، يا لروعة التضحية :

نحن نكتب عنه بلاغا فصيحـــا
وشعرا حديثـــا
ونمضي لنطرح أحزاننا في مقاهي الرصيف .

وليتنا كنا نخلط بذلك الحبر قليلا من دم الصدق ، لو فعلنا ذلك لكنا شهداء ، فطالما قرن حبر العلماء بدم الشـــهداء ، ولكنا ضيعنا العلم والشهادة ، واخترنا جلســـــة استرخاء بليدة فوق المقاعد في مقاهي الرصيف ، حيث « نطرح » أحزاننا ولا «نهمرها»، لانها ليست مما يمكن ان ينهمر .

اذن فان العلامة المميزة له هي « الدم » مثلما ان العلامة المميزة لنا هي « الحبر » وتحت هذين الشعارين يحتشد جميع الثنائيات المتناقضة من حق وباطل واخلاص ورياء ... ومن قبل ذلك ميز التنزيل بين القاعدين والمجاهدين (والجهاد درجة على طريق الشهادة) : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، فكيف اذا كان القاعدون ممن يمضون ليطرحوا أحزانهم في مقاهي الرصيف ؟!

هو الآن يمضي ...
قنـــابل او برتقاله
ولا يعرف الحـــد بين الجريمة حين تصير حقوقا
وبين العدالة
وليس يصـــدق شيئا
وليس يكذب شـــيئا

موهمة هذه الاسطر : كأنها تقول انه لم يعد يستطيع ان يعين هويته : « قنابل او برتقاله » ولم يعد يعرف هوية الاشياء « الجريمة / الحق والعدالة » ولم يعد يدري أين يتخذ موقفه « مع الصدق او مع الكذب » ، لان خروجه من حدود الزمان والمكان قد أبطل علاقته بالمواضعات والمقولات التي تجري ضمن حدودهما . لا . معاذ الله . ليس هذا المعنى هو الذي قصده الشاعر ؛ أنا على مثل اليقين انه اراد ان الشهيد يمضي (الآن) ليصبح روحا متفجرة تفجر كل قنبلة تلقى على جموع العدو ، وبرتقالة جميلة عند كل من يقرن بينه وبين « يافا » ؛ وانه حين يفتك في العدو يقول من لا يعرف حقيقة الامور او من يتجاهلها : « هذه جريمة ! » غير عارف — بل متجاهل — ان هذه الجريمة هي صورة الحقوق المسلوبة ، وهي وحدها العدالة . (وسنغفر للشاعر انه سمح للفظة « جريمة » ان ترد على خاطره) . ثم ان هذا الشهيد لم يعد يصدق شيئا او يكذب شيئا ، لا لانه وقع في منطقة حياد (ايجابي كان او غير ايجابي) بل لان حيز الشيئية عنده لم يعد يضم أمورا متباينة قابلة للصدق والكذب ، لم يعد لديه في ذلك الحيز سوى حقيقة واحدة مطلقة ، لا توصف بأية صيغة لغوية من صنع الانسان ، لان الصفات قائمة على تصور ثنائي تقود اليه الحاجة الآنية في التمييز ؛ وتلك الحقيقة